**الطب السردي وما بعد الكولونيالية (فرانز فانون ومقاومة المرض بالكتابة)**

**عبد الحق بلعابد**

**قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، ص-ب 2713، الدوحة، قطر**

**abelabed@qu.edu.qa**

**المستخلص:**

يعد الطب السردي من بين الدراسات الحديثة، كونه فرعا من الدراسات البينيّة التي تجمع بين المقاربة الطبية العلمية، والنصوص السردية الخيالية، هذه العلاقة الحوارية الجديدة بين العلوم ستفتح للباحثين أطباء ونقادا طرقا جديدة لاكتشاف جمالية المرض وعلاجه من خلال الخيال السردي. لهذا نحاول في هذا البحث استرجاع أحد المفكرين والأطباء المؤسسين للدراسات الثقافية والدراسات ما بعد الكولونيالية، وهو الطبيب النفسي (فرانز فانون)، للبحث عن كيفية معالجته أمراض الحروب ومقاومة عنفها بالكتابة، من خلال أرشيف مرضاه الذين عالجهم، وأعاد قراءة تاريخهم السردي لمرضهم، ليمكنهم من حرية القول/الكتابة كفعل نضالي/ثوري ضد عنف الخطاب الاستعماري، كما سردها في كتابه (معذبو الأرض) وغيره، أو كما جسدت في روايات عن شخصية هذا الطبيب والمثقف العضوي، مثل رواية جيجيقة براهيمي (فرانز فانون).

**كلمات مفتاحية:** الطب السردي، ما بعد الكولونيالية، الدراسات البينية، المرض، المقاومة، الكتابة، فرانز فانون.

**Narrative Medicine and Postcolonialism (Frantz Fanon and the Resistance of Illness through Writing)**

**Abdelhak Belabed**

**Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences, Qatar University,**

**P.O. Box 2713, Doha, Qatar**

**abelabed@qu.edu.qa**

**Abstract:**

Narrative medicine is an interdisciplinary field that combines scientific medical approaches with fictional narrative texts, providing new avenues for researchers, doctors, and critics to explore the aesthetics of illness and address it through the power of storytelling. In this research, we focus on examining the narrative works of Frantz Fanon (1925–1961), a prominent psychiatrist and thinker in cultural studies and postcolonial studies. Our objective is to analyze how Fanon addressed war-related diseases and resisted their violence through writing, drawing on the archives of his patients, and reexamining their narrative histories of illness. By granting them freedom of expression, Fanon's approach became an act of resistance against the oppressive colonial discourse. This investigation will primarily explore Fanon's seminal work, The Wretched of the Earth (1961), as well as other novels that delve into the life and character of this influential organic and intellectual doctor, such as Jijiga Brahimi's Frantz Fanon (2019).

**Keywords:** narrative medicine, postcolonialism, interdisciplinary studies, disease, writing, resistance, Frantz Fanon.

**مقدمة:**

يعد الطب السردي من بين الدراسات الحديثة، كونه فرعا من الدراسات البينيّة التي تجمع بين المقاربة الطبية العلمية، والنصوص السردية الخيالية، هذه العلاقة الحوارية الجديدة بين العلوم والعلوم الإنسانية ستفتح للباحثين أطباء ونقادا طرقا جديدة لاكتشاف جمالية المرض وعلاجه من خلال الخيال السردي. لهذا نحاول في هذا البحث استرجاع أحد المفكرين والأطباء المؤسسين للدراسات الثقافية والدراسات ما بعد الكولونيالية، وهو الطبيب النفسي (فرانز فانون)، للبحث عن كيفية معالجته أمراض الحروب ومقاومة عنفها بالكتابة، من خلال أرشيف مرضاه الذين عالجهم، وأعاد قراءة التاريخ السردي لمرضهم، ليمكنهم من حرية القول/الكتابة كفعل نضالي/ثوري ضد عنف الخطاب الاستعماري، كما سردها في كتابه (معذبو الأرض) وغيره، أو كما جسدت في روايات عن شخصية هذا الطبيب والمثقف العضوي، مثل رواية جيجيقة براهيمي (فرانز فانون).

**1- الدراسات ما بعد الكولونيالية وموقف فرانز فانون من الطب الكولونيالي:**

**1-1- الدراسات ما بعد الكولونيالية:**

تعد الدراسات ما بعد الكولونيالية من بين الدراسات النقدية التي أنتجها المنعطف النقدي لما بعد البنيوية، إذ أصبح لها مكانة مهمة في النظريات الأدبية والنقدية على المستوى الثقافي والسياسي والاجتماعي، لما تعالجه من قضايا كانت وليدة صدمة الاستعمار وما بعده، كاشفة عن ذلك الصراع الثنائي الحضاري والثقافي والسياسي بين الغرب والشرق بخاصة لدى شعوب أفريقيا وآسيا، وكيف لهذه الأخيرة القدرة على تفكيك المركزية الغربية المتسلطة ذات المرجعية الاستعمارية من جهة، والاستشراقية من جهة أخرى.

لهذا آن للتابع أن يتكلم بتعبير سبيفاك (Donna Landy 287)، ويقاوم بالسلاح وبالكتابة هذا المستعمِر، ويكشف وهم هيمنة الميثولوجيا البيضاء على فضاءات العلم والمعرفة، وأن الغرب مركز الكون، ولا يمكنه أن يتعايش مع ثقافات الشعوب الأخرى، لما يعتقده فيها من همجية وبربرية وتخلف، ولهذا رفض المتخصصون في الدراسات ما بعد الكولونيالية والمتشبعون بروح التنوير وما بعد الحداثة هذه السرديات الكولونيالية ذات الإيديولوجيا الإقصائية والانتخاب الثقافي، فكانت مبادئهم واضحة في الرد على الفكر والسرد الكولونيالي بـ:[[1]](#endnote-1)

* العمل على تفكيك الخطاب الكولونيالي الغربي، بهدم نظرياته، ونقض فرضياته، والرد على نتائجه، التي كانت تعبر عن الهيمنة، والطبقية، والعرقية، ولا مساواة؛ وهذا ما نجده في كتابات رواد الدراسات ما بعد الكولونيالية من أمثال: فرانز فانون، إدوارد سعيد، هومي بابا.
* النضال من أجل مكافحة سياسة التغريب والنظرة الدونية للشعوب الأخرى، ونزع عقدة التفوق الغربي في التمدن والتحضر...خاصة عند كثير من المثقفين والمنظرين في الدراسات ما بعد الكولونيالية الذين عانوا الغربة والمنفى والتمييز العرقي والانتخاب الثقافي، وكتبوا عنها وجعلوها موضوعا لدراساتهم وإبداعاتهم؛ وهذا يظهر واضحا في الكتابات الأكاديمية أو الإبداعية عند كل من عبد الرزاق غرنح، سلمان رشدي، إعجاز أحمد.
* طرح علاقة الأنا والآخر على محك النقاش العلمي بمقاربات ثقافية وتاريخانية، ودراسات الذاكرة، لفهم جدلية هذه العلاقة؛ هل هي ذات بعد سلبي صراعي مبني على العداء والكراهية، أم ذات بعد إيجابي تصالحي يبني المستقبل على أساس ثقافة التعايش التسامح؛ وهذه العلاقة المتصلة والمنفصلة بين الأنا والآخر كثيرا ما قرأناها في روايات الطيب صالح، وسهيل إدريس من الجيل الأول من الروائيين في المنطقة العربية، وكذلك في الكتابات الروائية للجيل الثاني؛ من أمثال واسيني الأعرج، وربيع جابر، وإنعام كو جه جي.
* رد الكثير من مثقفي النظرية ما بعد الكولونيالية على فكرة الاندماج والتهجين في الحضارة الغربية، وعلى رأسهم هومي بابا، وغياتي سبيفاك، وأشيل مبينبي، مناهضين بذلك سياسة التهميش والإقصاء والاستلاب والتغريب، وذلك بتعزيز الهوية الوطنية وترسيخ المبادئ القومية والدافع عنها بالمقاومة المادية كما وجدانها في ثورات الشعوب في أفريقيا وآسيا، والمقاومة الثقافية كما هي في كتابات المثقف والروائي الفلسطيني غسان كنفاني في مجمل رواياته، وخاصة في كتابه التأسيسي عن أدب المقاومة، كما أن منهم من استحدث فكرا جديدا يقابل نظرية الاستشراق، سموه بعلم الاستغراب (عند حسن حنفي) جاعلا من الغرب موضوعا للدراسة والتفكيك.

ومن رواد الدراسات ما بعد الكولونيالية من المثقفين والنقاد والمفكرين في الغرب أو العالم الثالث؛ نجد المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد صاحب الكتاب التأسيسي لدراسات الاستشراق 1978 (سعيد 41)، الذي استطاع من خلاله أن يفكك بنية العقل الاستشراقي، كاشفا عن تكوين العقل المركزي الغربي من خلال تحليل سردياته وأنساقه المضمرة التي جعلته أحد أهم رواد النقد الثقافي، وهذا كله أهله لكي يكون أبرز المنظرين للدراسات ما بعد الكولونيالية متأثرا بكل من طروحات أنطونيو غرامشي، وحفريات المعرفة، وخطاب السلطة عند ميشال فوكو، والمنهجية التفكيكية عن جاك دريدا، كل هذه المرجعية المعرفية والنقدية أسهمت في تشكيل استراتيجيته التحليلية للخطاب الكولونيالي (سعيد 83).

وقد تأثر المفكر الهندي هومي بابا بأطروحات إدوارد سعيد، وميشال فوكو، وجاك دريدا، وجاك لاكان، وهو يشتغل على خطاب الهامش في مجتمعات ما بعد الكولونيالية، وتلك العلاقات المتبادلة أو المستترة بين الثقافات المهيمنة والمستعمَرة، فهو يرى أن التفاعل الحاصل بين المستعمِر والمستعمَر سيولد انصهار المعايير الثقافية كما تؤكدها السلطة الكولونيالية، بل هي تهدد في محاكاتها بزعزعة استقراراها، لأن هوية المستعمر غير مستقرة في حدّ ذاتها، بوجودها في وضع معزول ومغترب، كما هي عليه هوية المستعمر بحكم اختلافها؛ فهي تحقق فقط في حال اتصالها المباشر بالمستعمر وقبل ذلك، فإن حقيقتها الوحيدة موجودة في إيديولوجيا الاستشراق كما عبر عنها إدوارد سعيد، وكما يذهب إليه هومي بابا في كتابه موقع الثقافة (بابا 37–68).

والأمر نفسه نجده عند أهم مناضلة وناقدة نسوية لدراسات ما بعد الكولونيالية، المفكرة الهندية غي شي سبيفاك، كإحدى أهم المؤسسات لنظرية الدراسات ما بعد الكولونيالية، بانتقادها المتواصل للحركات النسوية الغربية ذات البعد التهميشي للمرأة، والاقصائي للآخر، والطبقي للمجتمعات، والعرقي للشعوب، والانتخابي للثقافات؛ وقد ساعدها في ذلك مرجعيتها السياسية الماركسية، وتأثرها بكتابات غرامشي، وتسلحها بالاستراتيجية التفكيكية عند دريدا مما سمح لها أن تؤسس ما أصبح يعرف في الدراسات ما بعد الكولونيالية بدراسات (التابع)، وخاصة ما أعلنت عنه في مقالها التأسيسي هل يمكن للتابع أن يتكلم (Gayati Spivak 17–35)، وهي تفكك الخطاب الاستعماري للمهمشين والمشردين والمزارعين، خاصة من فئة النساء في الهند اللائي مورست عليهن طقوس قهرية وذكورية، زيادة على الوضع الاستعماري المهيمن، وبذلك كانت سبيفاك الصوت المدافع عن المرأة الشرقية المحلية والمهاجرة والمغتربة، أمام المركزية الغربية.

وأمام كل هذه الأصوات المناضلة والمقاومة للخطاب الاستعماري، والمؤسسة للدراسات ما بعد الكولونيالية، نجد صوتا يأتي من بعيد أشاد به إدوارد سعيد، بل جعله من بين المرجعيات التأسيسية لهذه النظرية، وهو المثقف العضوي والطبيب المارتينيكي (فرانز فانون)؛ والذي كانت أطروحاته عن الخطاب الكولونيالي سابقة لأوانها، كما يظهر ذلك جليا في كتابه: "المعذبون في الأرض" (1961م) (فانون 39)، حيث يحلل فانون طبيعة الاستعمار الكولونيالي، ويبيّن طابعه الذاتي والمصلحي، معتبرا أن الاستعمار مصدرا للعنف والإرهاب؛ مما يولد مقاومة مضادة من قبل الشعوب المستضعفة أو البلدان المستعمرة. ومن ثم ينتقد فرانز فانون الأنظمة الاستعمارية الكولونيالية الغربية، ثائرا على المنظومة الغربية التي ينتمي إليها، معتبرا إياها رمزا للتسلط الثقافي، ومنظومة مركزية مبنيّة على قوة العلم والثقافة والتكنولوجيا، وذلك بغية الهيمنة، والسيطرة، وإخضاع الشرق ماديا ومعنويا، وقد عبر بصراحة عن موقفه من الاستعمار خاصة في الجزائر، وخاصة من الطب الكولونيالي التمييزي ولا إنساني الذي كان يمارس هناك.

**1-2- موقف فرانز فانون من الطب الكولونيالي (في الجزائر):**

كان الطب الكولونيالي في كافة أقطار العالم الاستعماري يعد مفخرة للنخب الكولونيالية التي ترى أنه أسهم في إنقاذ العديد من أرواح الأهالي المستعمَرين، وعمل على خفض الوفيات في أوساط الأطفال، وأدخل أجهزة طبية حديثة، وطرق علاجية جديدة، كانت تجهلها هذه البلدان المستعمرة التي تعيش في الجهل والتخلف (Dormael 5-6) وقد عمل (فرانز فانون) باعتباره طبيبا ومناضلا سياسيا على رد أكاذيب وافتراءات الطب الكولونيالي، لأنه عاش هذا التمييز العلمي كممارس للطب في الجزائر، والتمييز الثقافي والعرقي كمواطن غير فرنسي من ذوي البشرة السوداء. فقد لاحظ أن الطب في الجزائر لا يمارس كما يمارس في فرنسا، لأن شخصية الطبيب في باريس لها وضعها العلمي والاقتصادي المريح، على العكس من الطبيب في الجزائر الذي تشبه شخصيته شخصية المغامر والمستكشف، لأنه لا يعيش بدخله من المهنة، بل من عمله كمزارع أو تاجر أو ملك للكروم:

"... وعندما لا يكون الطبيب رهين زبائنه فحسب، من حيث الكسب، وإنما يأتيه دخل هائل من موارد أخرى، فإنه يُكَون لنفسه مفهوما معيّنا عن الأخلاق المهنية والممارسة الطبية" (كالطون 215).

وقد مارس الطب الكولونيالي في رأي فانون أبشع صور الاحتقار، ولا عدالة الطبية، ولا مساواة في العلاج للمريض، لأنه يرى فيه أنه يستحق ذلك لهمجيته ودونيته، ودائما ما يردد على مسامعه أنه ( لا يعيش من وراء زبائنه)، لأن هذا الطبيب يعد جزءا من الهيمنة الاستعمارية، ويعمل تحت إرادتها السلطوية، لهذا كثيرا ما كان هؤلاء الأطباء الاستعماريون هدفا من قبل مناضلي جبهة التحرير الوطني إبان الثورة الجزائرية، وهنا تظهر المفارقة عند بعض المتعاطفين مع الثورة الجزائرية، كيف يمكن لمن أدى القسم وأصبح طبيبا أن يكون مجرم حرب، ويعذب الثوار (فانون 123). لهذا من الطبيعي كما يرى فانون أن الجزائري سيتخذ موقفا من الطب الكولونيالي، الذي يرى فيه استمرارا للاستعمار، فلهذا كان يعزف عن الذهاب للمستشفيات الاستعمارية، ليعالج نفسه بالطرق التقليدية والطب البديل.

إلا أن هذا الموقف عرف تغييرا مع اندلاع الثورة الجزائري، وانضمام العديد من الأطباء إلى صفوف جبهة التحرير الوطني (ومنهم فرانز فانون)، ليصبح جميع الأهالي يتوافدون على الأطباء، ويأخذون بتعليماتهم، ويبحثون عن الأدوية والحقن للجرحى (كما عبرت عنه الرواية مع مريامة التي ارتاحت نفسيا وعلاجيا لفرانز فانون)، ليعيش المستعمِر مفارقة؛ إذ أصبح هو من يمنع عن المواطن (الجزائري) الأدوية والعلاجات، لكي لا تصل الثوار في الجبال والضواحي، لتنهار مركزية الطب الكولونيالي أمام إرادة المقاومة، والوعي الثوري عند الطبيب الأهلي (فانون 127).

**2- الطب السردي أفقا للدراسات البينيّة ومدخلا للسرديات ما بعد الكولونيالية:**

نشأ الطب السردي في نهاية الثمانينيات ضمن العلوم الإنسانية الطبية، فقد كان هناك تيار من التفكير والتدريب الطبي الذي تطور في الولايات المتحدة منذ السبعينيات القرن الماضي، ليظهر بعد ذلك في أوروبا في مطلع العقد الأول من القرن الحادي والعشرين[[2]](#endnote-2)، أولاً في بريطانيا العظمى وسويسرا، ثم تدريجياً في عدة بلدان، ولا سيما في البرتغال[[3]](#endnote-3). ليتم تدريس الطب السردي وتطبيقه في العديد من المراكز في جميع أنحاء العالم، ولكن مركزين رئيسيين عرفا به هما مركز كينجز كوليدج للعلوم الإنسانية للصحة في لندن، والمركز الطبي بجامعة نيويورك كولومبيا، برنامج الطب السردي (Cabral 4-5).

لكن بينما تستقطب العلوم الإنسانية الطبية مختلف تخصصات العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، والفنون، وتاريخ الطب، مما جعل الطب السردي من بين موضوعات الدراسات البينيّة، وما قدمته وتقدمه السرديات ما بعد الكلاسيكية من جديد للسرد الكلاسيكي وموضوعات اشتغاله؛ لهذا يقدم الطب السردي طرقًا أدبية للتكوين والممارسة الطبية. الهدف منها هو تعزيز الطب والرعاية الصحية بالمعرفة السردية لإكمال مجال التخصص، وبالتالي تعزيز علاقة المريض بالطبيب بشكل أكثر شمولاً (Cabral 5-6).

تقدم ريتا شارون إحدى المؤسسات الأوائل للطب السردي التعريف التالي له فهو ذلك: "الانضباط السريري والفكري مدفوع بالرغبة في تعزيز مهارات الرعاية الصحية للترحيب بقصة الآخرين للتعرف عليها واستيعابها وتفسيرها والتصرف وفقًا لقصتهم (Rita Charon 1–10)، فهو يشير إلى مجموعة القصص عن الأعراض والتصورات التي يرويها الأشخاص غالبًا ما يكون المرضى أنفسهم ، وفي بعض الأحيان أقاربهم أو أصدقاءهم أو مقدمو الرعاية، والتي تعطي مساحة لوصف المشاعر والعواطف؛ فلهذا كان الطب السردي هو ما يحدث بين مقدم الخدمات الصحية والمريض: من جمع معلومات الأحداث قبل حدوث المرض، وكيف ظهر المرض، مع الاهتمام بالجوانب الجسدية والنفسية والاجتماعية و*السمات الوجودية* (Rita Charon 6–8)*.*

يعتمد الطب السردي على مفهوم السرد، الذي لا ينفصل عن الهوية، وعن الذات، وفقًا لعمل بول ريكور الذي ينتهج هذا المنهج، خاصة ما بحثه في كتابه الذات عينها كآخر إذ يقول "إن الطبيعة الحقيقية للهوية السردية لا تتكشف، في نظري إلا في ديالكتيك الذاتية والعينية، وبهذا المعنى، فإن هذه الأخيرة تمثل المساهمة الأكبر للنظرية السردية في تكوين الذات" (294). إنها أيضًا مسألة تناول وتطوير لفكرة السرد كـعمل أخلاقي مستوحى من الأعمال النقدية والفلسفية لجيه هيليس ميلر أو مارثا نوسباوم أو بيتر بروكس، من هذا المنظور، يستعير الطب السردي أيضًا من العديد من المفكرين والنقاد الفرنسي فوكو، ولاكان ج. جينيت (Cabral 6-7).

ووفقًا لتفسير ريتا شانون، فإن الطب السردي هو "الطب الذي يُمارس بأهلية السرد للتعرف على قصص المرض واستيعابها وتفسيرها والتأثر بها" (Rita Charon 5–10). *فعندما يلتقي المريض بالطبيب، يتبع ذلك محادثة. قصة -حالة أو مجموعة من الأحداث- يرويها المريض من خلال أفعاله السردية، مما يؤدي إلى سرد معقد للمرض بالكلمات والإيماءات والنتائج الجسدية والصمت ...؛ فهي ليست فقط معلومات موضوعية عن المرض، ولكن أيضًا عن المخاوف والآمال والآثار المرتبطة به. فعندما يستمع الطبيب إلى المريض، فإنه يتبع الخيط السردي للقصة، ويتخيل موقف الراوي (الوضع البيولوجي، والعائلي، والثقافي، والوجودي)، ويتعرف على المعاني المتعددة والمتناقضة في كثير من الأحيان للكلمات المستخدمة والأحداث الموصوفة، وبطريقة ما يدخله في العالم السردي للمريض. على عكس أعمال قراءة الأدب، فإن أعمال الاستماع التشخيصي تستخدم الموارد الداخلية للمستمع -الذكريات، والجمعيات، والفضول، والإبداع، والقوى التفسيرية، والتلميحات إلى القصص الأخرى التي يرويها هذا الراوي وغيره- لتحديد المعنى. عندها فقط يمكن للطبيب أن يسمع ثم يحاول أن يواجه، إن لم يتمكن من الإجابة بشكل كامل عن أسئلة المريض السردية: "ما مشكلتي؟" "لم حصل هذا لي؟" و "ماذا سيحل بي؟"* (Rita Charon 6–10)*.*

*إن الاستماع إلى قصص المرض والاعتراف بأنه لا يوجد في كثير من الأحيان إجابات واضحة لأسئلة المرضى السردية مما يتطلب الشجاعة والكرم والتسامح، والشهادة على الخسائر غير العادلة والمآسي العشوائية التي تحدث للمريض، وهذا ما رآه فرانز فانون في الرواية عند معالجته للمريض المستعمَر:*

*"يفرّ عادة المريض المستعمَر من جلسة العلاج؛ تلك التي يكون فيها الطبيب من منظومة الاستعمار، وهذا بطبيعة الحال لأن العلاج يعتبر بمثابة امتحان، ولذا لا يحبذ المريض أن يمنح شرف الفوز للطبيب بكسب النقاط لصالحه. إن المريض المستعمَر يفر من طبيبه معتبرا ذلك بمثابة انتصار" (الرواية 86)[[4]](#endnote-4).*

*وبهذا يتيح إنجاز مثل هذه الأفعال الشهادة للطبيب قصد المضي قدمًا في مهامه السردية السريرية الأكثر تمييزًا: إنشاء تحالف علاجي، وإنشاء التشخيص التفريقي يمكنه من خلاله تفسير النتائج المادية والتقارير المختبرية بشكل صحيح، لتجربة ونقل التعاطف مع تجربة المريض، ونتيجة لكل ذلك، لإشراك المريض في الحصول على رعاية فعالة* (Marini 6–9)*.*

*وهذا ما ظهر في تلك العلاقة بين الطبيب فرانز فانون والمريضة مريامة لما استمع لقصتها المَرضية عند وصولها لمصحة جوانفيل، وهي كلها خوف أن تقع بين أيدي طبيب مستعمِر، فأراد أولا عقد صفقة علاجية مع هذه المريضة:*

*"أومأ لها فرانز فانون بلطف محملقا في وجهها. فرأى على ملامحها رغبة شديدة تدعوه لعقد صفقة بينه وبينها. صفقة شخص يحتمل أن يكون مريضا وشخص آخر تم الجزم بأنه طبيب حاذق. صفقة ستقود إلى تخوم العلاج...." (الرواية 84).*

*ثم تأتي مرحلة بناء الثقة وبسرد القصة للوصول إلى العلاج المناسب:*

*"إن مشاعر الثقة عادة هي التي تسود بين الطبيب والمريض؛ وهذا يحدث في مجتمع عادي؛ إلا أنّه ثمّة بعض الحالات التي تظهر فيها بعض التغيرات الحساسة على هذه العلاقة...*

*قامت مريامة من الأريكة مفزوعة، صرخت بلهجة شابهت التهديد والتّعنيف:*

* *آه ...أنت فرنسي إذن؟ كان عليّ ألا أصدقك منذ أن سمعتهم ينادونك فرانز في أول لقائي بك. أنت شريك معهم في جرائمهم...فهم يرتدون ملابس عسكرية وأنت مئزرا أبيض.!*

*لم يرد الطبيب على أسئلتها، بل أخذ يخضعها للمعاينة. بعد لحظات خفت لهجتها؛ ومالت إلى الهدوء ولكن لم تمل إلى السكوت:*

* *لكن ملامحك لا تدلّ على أنّك فرنسي! أنت تشبه فئة من الجزائريين.*
* *أنا فرانز فانون...أنا لست فرنسيا. أنا أصلي إفريقي ولدت في فور دي فرانس بالمارتينيك..." (الرواية 84-85).*

*هنا ستبدأ الرحلة العلاجية بعد اطمئنان مريامة المريضة أن فرانز فانون الطبيب ليس من فئة المستعمرين، وهذا ما سيظهر في مقاربتنا للطب السردي عنده، في معالجته لصدمات الطب الكولونيالي.*

**3- فرانز فانون معالجا/مقاوما بالرد بالكتابة:**

**3-1- الرواية ما بعد كولونيالية وتمثيلات الطب السردي:**

بالنظر لما سبق فقد حاول النقاد في الدراسات ما بعد الكولونيالية التمييز بين ما بعد الحداثة غير السياسية؛ أي تلك النظرية المفرطة التي تهمش أو ترفض السياق التاريخي، وما بعد الاستعمار الملتزم سياسياً، والذي يرتكز على الجوانب العملية للمقاومة السياسية، ليظهر أنه من الصعب بشكل كبير الحفاظ على مثل هذا التمييز في ضوء "المنعطف" الأخلاقي والسياسي لدى أولئك المنظرين لما بعد الكولونيالية، على الرغم من اختلافاتهم (Adam Ian).

فالتمييز بين ما بعد الحداثة باعتبارها حالة (ما بعد سياسية) للدول الغربية، وما بعد الكولونيالية باعتبارها الحالة (المسيّسة) للدول المستقلة حديثًا يمثل إشكالية. إذ تخضع دول ما بعد الكولونيالية بالضرورة للمنطق الاستعماري الجديد للرأسمالية المتأخرة(Durrant 3-4) .

كما نرى، فإن روايات ما بعد الكولونيالية هي روايات المقاومة والإدانة. فالمنتمون لها يشككون في كل أشكال الهيمنة، في عملية تغيير العالم. وفي جغرافيا العنف الجسدي والرمزي مع بقاياه البشرية، وجولاته المأساوية، وموته، وما إلى ذلك. إنهم مهتمون بشكل خاص بـالخطاب المضاد للهيمنة، ومقاومة الاستراتيجيات (الإيديولوجية، والشعرية، والسردية، واللغوية) للتنديد بالأنماط الجديدة للهيمنة وإبراز النضال والمقاومة ضد الظلم (Nsangou 110).

لهذا بالرجوع إلى الرواية المشتغل عليها، وهي رواية (فرانز فانون) لجيجيقة براهيمي[[5]](#endnote-5)، التي نرى أنها تندرج في ما يعرف بروايات ما بعد الكولونيالية، لاعتمادها في السرد على شخصية مركزية وهي الطبيب (فرانز فانون) كشاهد على هيمنة الكولونيالية وإمبرياليتها الجشعة، كما تعد كاتبة هذه الروائية من روائيات جيل ما بعد الصدمة الاستعمارية، إذ تستعيد ذاكرتها السرديات الكولونيالية محاولة تفكيكها والرد عليها، من خلال رواية تعتمد على تمثيلات الطب السردي كمكون رئيسي في الرواية، التي يمكن أن ندرجها ضمن ما يعرف بالرواية المرضية، إذ جاءت روايتها المرضية على لسان الشخصية الأساسية وهي (مريامة)، لأن الرواية المرضية أو (الرواية الطبية) يلعب فيها الطب دورًا مهيمنًا من حيث الموضوع أو المكان أو الشخصيات أو الخطاب أو البنية، تدور أحوالها حول المريض وعلاجه، وهنا يظهر تقاطع الأدب عامة والرواية على وجه الخصوص بالطب، كما حاولت ذلك براهيمي في روايتها التي جاءت في شكل سيرة غيرية لفرانز فانون مضمنة مفاهيم مثل المرض، والطبيب، والمستشفى، والأعراض (Danou 128)، ليتحول هذا الدواء السردي (الرواية) مخففا وشافيا ومعالجا لمريامة من جرحها المادي عند اغتصابها من قبل قائد المظليين جاك، وبعد ذلك في المصحة النفسية، وكذلك فرانز فانون الذي أظهر في الرواية ذاكرته الموشومة من جراء العنصرية، وسرده الجريح ماديا ومعنويا من خلال ما مورس عليه من تمييز، وهو يقاوم هذا الطب الكولونيالي في مستشفيات الاستعمار الفرنسي، وعلاجاته التمييزية للمرضى النفسيين من المقاومين الجزائريين في مستشفى جوانفيل في الجزائر كما أظهرتها السرديات الفانونية (في كتبه)[[6]](#endnote-6)، والذي كانت مريامة من بين نزلائه في رواية براهيمي، وهذا ما عبر عنه فانون صراحة في الرواية منتقدا الطب الاستعماري:

"عندما يخوض الاستعمار في الحديث عن المستعمَر، فإنه يوظّف لأجل ذلك لغة الحيوان...

توصّل فانون إلى هذه الخلاصة بعد معاينته لأرشيف الطب الاستعماري. لقد استحضر هذه الفكرة المهمّة، وهو يحاول اسعاف مريامة، لكن ليس لمحاولة تهدئتها؛ بل لأجل أن تعبر عن غضبها... أتى الطلبة المتربصين بعد ذلك. حملقوا فيها وبدؤوا يقومون بعمليّة إسقاطية خاطئة لنفايات طبية خطيرة. ناب أحد الطلبة عن زملائه مخبرا فانون بأن أساتذتهم توصلوا إلى نتائج مدهشة. لكنه فاجأهم:

* أدرك جيدا أنه حتى الأطباء الجزائريين الحاصلين على شهاداتهم من كلية مدينة الجزائر؛ قد أجبروا على السماع بأن الأفريقي مجرم بالفطرة..." (الرواية 73).

**3-2- فرانز فانون الشخصية المفهومية والهجنة السردية:**

تحاول الروائية جيجيقة براهيمي في روايتها (فرانز فانون) إعادة تشكيل الهوية السردية من خلال الحفر في الهوية الشخصية، وبهذا فهي تنسج حوارية بين الحياة في السرد والسرد في الحياة، لتصل إلى إبداع الشخصية المفهومية لفرانز فانون بمفهوم بول ريكور. وبرجوعنا إلى هذا الأخير نجده تعرض لمفهوم الهوية السردية الفاهمة للهوية الشخصية عبر وساطة الوظيفة السردية في نهاية كتابه الزمان والسرد (ريكور 145)، وعاد إليها في كتابه المهم (الذات عينها كآخر)، لما حددها بذلك "النوع من الهوية الذي يكتسبها الناس من خلال وساطة الوظيفة السردية" (ريكور 252)، وهو يحاول الدمج بين السرد التاريخي والسرد التخييلي، فالهوية السردية ذلك البرزخ الجامع بين السردين من خلال فعل تأويل الذات وفهمها، وهذا ما هي عليه شخصية فرانز فانون في متخيل الرواية.

إذ ينظر ريكور للهوية السردية كتركيب مؤلف من محاجات، وتحاليل تنظر للآثار عملا فنيا يبدأ نصا وينتهي فعلا، إنها هوية تفترض السرد بشكليه التاريخي والتخييلي في عملية جدلية تؤمن بإعادة تشكيل الفعل حكيا يرسم الأحداث، لهذا استدعت الروائية الأرشيف التاريخي والسردي لفانون وكيفية تسرديه وإبانة رده بالكتابة على الطب الكولونيالي، لأن مساءلة الهوية سرديا يمرّ عبر الجمع بين سرد تاريخي وسرد تخييلي ليتأخذ شكلا تأويليا يجعل من الحياة معاناة خاصة إذا كانت تحت الاستعمار أو القهر بأشكاله، فوجب أن تعاش ويرتهن فيه الزمن للسرد، إذ ليس له أن يكون إلا مرويات، لهذا عملت الروائية على نسج حبكات مختلفة ودينامية يتفاعل فيها السرد والتاريخ (الورفلي 79)، ومن بين ما ورد بين التاريخ الشخصي والتاريخ السردي لفرانز فانون، ما نقله عنه المفكر الفرنسي جان بول سارتر في مقدمته لكتابه (معذبو الأرض)، ونجد الرواية تناصت في مقدمتها وفي فصلها الأول مع ما جاء في مقدمة الكتاب[[7]](#endnote-7):

"اقرؤوا فانون وستعرفون: أنه في حالات عجز الشعوب يعتبر الجنون القاتل بمثابة اللاوعي الجماعي للمستعمرين...قد تطالبون برمي هذا الكتاب من النافذة، وتسألون لماذا الإقبال على قراءته بما أنه لم يكتب لأجلنا؟ إن الداعي إلى ذلك يكمن في سببين: الأول يعود إلى كون فانون يشرح فيه لإخوانه آليات اغترابنا ويفككها كذلك...وأما الثاني: فإذا وضعتم جانبا الثرثرة الفاشية لسوريل ستجدون بأن فانون هو الأول بعد إنجلز من أعاد إلى بقعة الضوء تلك الحكمة المولدة في التاريخ...

إن هذا التأييد الكامل الذي تدين به الإنسانية لفانون، هو الذي جعله يدين بدوره للثورة الجزائرية، وبأكثر مما يدين لجميع البراكين واقعية كانت أو أسطورية..." (الرواية 8-9).

وبهذا يمكن للهوية السردية لفانون أن تحل معضلة الهوية الشخصية، لهذا وعى ريكور بأن السيرة الذاتية هي أبلغ تعبير عن إعادة تشكيل الهوية السردية للهوية الشخصية (الورفلي 251)، وهذا ما جسدته الكاتبة في روايتها باستدعائها مكونات السيرة الغيرية لفانون في عملها الروائي لكي تبني الشخصية المفهومية، ومن حيث هي نوع من المعارضة الاسمية للمفكر تلتقي تماما مع سماتهم النمذجية في الفكر، ومع سماتهم التكثيفية في المفاهيم لتبدع عالمها الخاص (دولوز وغتاري، 78-79)، إذ لا بد لهذه الشخصية من أن تحتفظ بالقدر المميّز لها بوصفها شخصية عاشت في حقبة زمنية معينة، وذلك حتى لا يكون ثمة تصادم وتنافر بين الشخصيتين التاريخية عموما والروائية المأخوذة عنها، وهذا ما ظهر لنا في الشخصية المفهومية لفانون في رواية جيجيقة، إذ أعيد إبداع شخصية فانون من حوار سياقين مهمين سياق داخلي سردي (شكل الهوية السردية)، وسياق خارجي تاريخي (تشكل من الهوية الشخصية)، لهذا نجد أن سرديات فرانز فانون يكشفها أرشيفه تاريخي الواقعي الذي تناصت معه الكاتبة في روايتها وصدرت به عملها الروائي، وكأنها تشاطرنا القلق الذي عاشه فانون بين هجنة الهوية والانتماء، وهجنة تسريد واقعه الشخصي:

"تمت الاستعانة بالمصادر والمراجع التالية لأجل كتابة هذه الرواية:

**Franz Fanon**

- Sociologie d'une révolution l'un V de la révolution algérienne

- Peau noire masques blancs

* محمد الميلي، فرانز فانون والثورة الجزائرية.
* معذبو الأرض، ترجمة السيدة منور.
* مقال رضوى عاشور، فرانز فانون الثورة الجزائرية" (الرواية 5).

القارئ للسرديات الفانونية سيجد نفسه دائما أمام تفكيك لسرديات الاستعمارية، من خلال محاولة فانون تقديم وصف موضوعي للذاتي، لما جعل من علم النفس وسيلة لاستقصاء التأثيرات الداخلية للكولونيالية على الذوات المستعمَرة، وكوسيلة يمكن مقاومتها من خلالها، إذ حول انطباع الدونية لدى هذه الشعوب المقهورة إلى تمكين لذواتها، وهذا ما عاناه هو أيضا على مستوى الهوية والانتماء من هذا الآخر الكولونيالي، فهذا المارتينيكي الذي ولد سنة 1925، وضحى بشبابه في صفوف الجيش الفرنسي:

"في 12 مارس 1944، انطلق إلى شمال إفريقيا على متن السفينة *أوريغون*. ترك المجند فانون في غموض الظلام دون أبهة أو شرف عسكري، في ظروف تذكرنا بتلك التي تحملها العبيد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. هبط في الدار البيضاء في 30 مارس/آذار وتمركز في كرسيف لمدة شهر. يقارن مانفيل معسكر جرسيف العسكري بـ "برج بابل"، وهو نوع من "الكوزموبوليتانية الهرمية" التي تتكون من طبقات وأعراق وثقافات وأعراق مختلفة، وحيث يوجد فرنسيون من الأقدام السوداء. يتم تقديم جزر الأنتيل السوداء والأفارقة جنبا إلى جنب. في هذه الكوزموبوليتانية الهرمية، تعززت الفوارق الطبقية بواسطة الحواجز العرقية والإثنية. كانت العادات الجوهرية علامات على الاختلافات العرقية. على سبيل المثال، كان الهنود الغربيون يرتدون السراويل القصيرة بينما كان السنغاليون السود يرتدون الملابس العرقية *الشاشيا"* (Haddour 5-6)*.*

وقد أصيب بشظية كادت تؤدي بحياته في سبيل تحرر ما كان يعتقد فيه وطنا بديلا ينادي بشعارات الأخوة والعدالة والمساواة، أصيب بخيبة بالغة من عدم الاعتراف، وعاش في اغتراب كولونيالي رهيب غيّر الكثير من قناعاته ومفاهيمه حول الاستعمار والعنصرية والطبقية:

"عاد العريف فانون محبطًا من تجربة الحرب رجلا متغيرا، تميّز برؤية الحرب والدمار وكذلك مواجهته للعنصرية. انضم إلى قوات الحلفاء لحماية التقاليد الجمهورية الفرنسية، والدفاع عن الحرية والقتال جنبا إلى جنب مع رفاقه الفرنسيين ضد التعصب الأعمى والعنصرية. لخيبة أمله، واجه تحيّزًا وكان مدركا لسواده. لقد حارب ضد النازية -ضد التعصب والتحيّز والقومية الضيقة الأفق وكراهية الأجانب- ومع ذلك، ومن المفارقات، وجد نفسه موضوعا لتمييز العنصري في فرنسا. عاد إلى المارتينيك في ظروف مروعة على متن سفينة تحمل حمولة *سان ماتيو*. كان استقبال قدامى المحاربين صامتا بشكل مخيب للآمال: لم يُمنح هؤلاء الشباب الشرفاء العسكريين الذين خاطروا بحياتهم للدفاع عن فخر فرنسا المحتلة واستعادتها" (Haddour 8).

وعلى الرغم من أنه تسلم وساما الاستحقاق من درجة (صليب الحرب)، إلا أن خيباته زادت "... ففي عام 1945، حصل فانون على جائزة *صليب الحرب* لشجاعته من قبل راؤول سالان. ومن المفارقات أنه في الحرب الجزائرية، كان فانون والجنرال سالان يقاتلان على طرفي نقيض: أصبح فانون المتحدث باسم جبهة التحرير الوطنية (FLN). وأصبح سالان، أحد المؤيدين الرئيسيين للجزائر الفرنسية، كما ترأس منظمة البوليس السري (OAS). وفي سنة 1945، ذهب فانون مع اثنين من أصدقائه، مانفيل وموسول، إلى طولون، خلال الاحتفالات بيوم النصر الذي يصادف نهاية الحرب، شعر فانون بالاستبعاد والتهميش. رقصت الفتيات الفرنسيات في أحضان الجنود الأمريكيين لكنهم رفضوا الرقص مع فانون. في *بشرة سوداء* و*أقنعة بيضاء* استحضر آراء الزنوج الصريحة التي أظهرتها الفتيات عندما كن بين يرقصن بين الزنوج"(Haddour 7).

وقد عبر عن هذه الهجنة والاغتراب الكولونيالي أيضا في كتابه "بشرة سوداء أقنعة بيضاء" (فانون 117–223)، وها هو يعبر عنه كشخصية مفهومية في الرواية لما ترجع بنا إلى فلاش باك عن التعليم الكولونيالي الذي تلقاه فانون، وما كان يعانيه ورفقاه من الكولونيالية العرقية واللونية:

"تذكر فرانز فانون كيف ألزمتهم المدارس الفرنسية بحفظ جملة من قصيدة الشاعر الفرنسي آلثر رانبو (ورثت عن أسلافي الغوليين العين الزرقاء الصافية)...

كان الزنجي يقدم كتمثل للقبيح، وفي المقابل تم التغاضي عن القبيح غير الزنجي، مثلما هو الشأن بالنسبة للأوروبي. لكن رغم تبرير الاضطهاد الذي مورس على الزنوج، فإن فانون قد آمن بأن من يمجد الزنوج ليس أقل مرضا ممن يضطهدهم. لذلك قال: أنا مثلا أجد بأني أتصور نفسي عن طيب خاطر مندمجا ومغمورا بالموجة البيضاء التي يشكلها سارتر والشاعر لويس أراغون" (الرواية 147-148).

ولم تنكشف هذه الأوهام على الرغم ما قدمه من خدمات وتضحيات لحربه إلى جانب الجيش الفرنسي، وهنا اقتنع أنه مع الطرف الخاطئ من المعادلة الإنسانية.

وهنا قرر فانون أن يرجع للدراسة، ويتخصص في علم النفس، ليصبح من بين الأطباء والكتاب والمثقفين الذين يناهضون النزعة الكولونيالية، وتوطدت علاقاته مع الكثير من المفكرين خاصة جون بول سارتر الذي سيكتب له مقدمة كتابه المهم (معذبو الأرض) الذي عدّ بيانا صريحا ضد الكولونيالية وممارساتها، كما ورد في الرواية وهو يخاطب ماسبيرو صاحب دار Seuil:

"أطلب من الفيلسوف سارتر كي يقوم بصياغة مقدمة لكتابي (معذبو الأرض). قل له بأني أفكر دوما في قامته الفلسفية السامقة...قل له بأن فرانز فانون قد قرر التخلص من كل شيء يربطه بأوروبا الكولونيالية. لنكه يردد بشكل دائم: أنا لا أطلب من أوروبا سوى أن تغمرني بالموجة البيضاء التي يشكلها جان بول ساتر والشاعر لوي أراغون..." (الرواية 19).

خاصة في الجزائر التي وظف فيها كطبيب نفسي في مستشفى جوانفيل للأمراض العقلية، وبعد ما رأى من تحيّزات عرقية وعنصرية في الممارسات الاستشفائية والعلاجية على الأهالي الجزائريين، ورفضهم لبرتوكوله العلاجي النفسي (العلاج النفسي المؤسسي) كل ما تقدم به، وقد ساق هذا في كتابه عن الطب والاستعمار (فانون 124)، ليقتنع فانون بضرورة الاستقالة من منصبه في نهاية الخمسينيات عندما كانت الثورة الجزائرية في أوجها، يقول في الرواية عند وضعه لرسالة الاستقالة على مكتب لاكوست:

"ثمة حقيقة مفادها أن الاستعمار في جوهره يقدم نفسه كممون كبير لمستشفيات الأمراض العقلية. إنني أجزم بأن مهمة التنظيم الاجتماعي هي بناء مؤسسات يحركها الاهتمام بالإنسان. لذا لن أتردد في اعتبار المجتمع الذي يدفع أفراده إلى حلول اليأس؛ هو مجتمع فيه الحياة غير ممكنة...لقد كان ضميري لشهور عدة موقعا لسجال محتدم، وقد انتهى إلى العزم على ألا أيأس من الإنسان؛ أي ألا أفقد الأمل في نفسي. لقد قررت الاستقالة من منصبي، وهذا إيمانا مني بأن ما يحتاجه الإفريقي هو مساندته من أجل تحرير أرضه لا حجزه في مستشفيات الأمراض العقلية ليصبح في النهاية مقرونا بشتى الحالات الباثولوجية..." (الرواية 127-128).

وهنا سيبدأ نضاله الثوري مع جبهة التحرير الجزائرية، بما كان يقدمه من حمالات سياسية دولية مناصرة لتحرر الجزائر، وكذلك تلك خطابات المذاعة عبر الأثير والمقالات المنشورة في صحف دولية أو ناطقة باسم جبهة التحرير (صحيفة المجاهد) المساندة للثورة الجزائرية، ففي مؤتمر أكرا الذي انعقد في ديسمبر 1958، سعى فانون مع الوفد الجزائري (برئاسة أحمد بومنجل وشوقي مصطفي) إلى حشد دعم الأمم الإفريقية، لتحديد موقفها من الكفاح المسلح في الجزائر. في إشارة إلى خطاب نكروما الافتتاحي، كتب: "ليس لدينا شيء نخسره سوى قيودنا، ولدينا قارة شاسعة لنفوز بها" (Haddour 20)، فهو يرى أن الشرعية الأممية فشلت حل المشكلة الجزائرية، وكان الكفاح المسلّح نموذجًا يحتذى به للحركات القومية في إفريقيا. ودافع أيضا عن الكفاح المسلّح الجزائري، وسعى لمحاكاة الثورة الجزائرية في بلدان أفريقية أخرى، وكأن الثورة الجزائرية تزود فانون بمفهوم الثورة أو الأفضل من ذلك إنهاء الاستعمار (Haddour 21)، وهذا ما أسس لمفهومه حول العنف ليس بقتل المستعمِر، بقدر ما هو قتل فكرة الاستعمار وأشكال الاستبداد عنده. فكل سرديات فرانز فانون التي تعرضنا لها لم تمكنه من الوصول إلى جدلية الخلاص مما يعيشه في ظل هذا الاغتراب الكولونيالي، وقلق الهوية والانتماء الذي لا يمده بأي أمل قريب لا في المجتمع الواقعي، ولا في المجتمع الروائي كما ذكرته الكاتبة، فهو دائما يتمثل صرخة إيمي سيزير في خطابه عن الكولونيالية وهو يكتب بشرته السوداء في مواجهة الأقنعة البيضاء:

"حين ننظر إلى العلاقة القائمة بين المستعمِر والمستعمَر، فإننا نجد بأنه ليس ثمة مكان سوى للكدح وللترهيب، للضغط، والشرطة، للضرائب والسرقة، للاغتصاب والعمل القسري في الحقول...ليس ثمة وجود سوى للإذلال بشكل مستمر. ليس ثمة مكان سوى للتوجس وعدم الثقة. دعوني أجزم أنه كل ما هنالك فضاء لحفظ الجثث، وللغطرسة، ونخب بلا عقل، وجماهير مهانة..." (الرواية 88).

**4- فرانز فانون ومعالجة الطب السردي لصدمة الطب الكولونيالي:**

يشترك فرانز فانون كمثقف وطبيب مناهض للكولونيالية، وكسارد في الرواية أيضا، في تجاوز صدمة الاغتراب الكولونيالي من جهة، والعنصرية اللونية من جهة أخرى، بواسطة شخصية مريامة التي تجمعه بها الصدمة الكولونيالية وجرح الذاكرة، غير أنه يحاول باستخدامه لعلاجه المؤسسي أن يتابع ترميم هويته الشخصية من خلال معالجة ما بعد الصدمة لهوية مريامة، التي كانت تسمع هذا الصوت الجريح من خلال المذياع "هنا الجزائر" (فانون 65)، وهو يصدح بحب الوطن والتوق إلى الحرية، كأحد المشاركين في المؤتمر العالمي للكتاب والفانين السود المنعقد بباريس سنة 1956؛  حيث تمت دعوة جهابذة القارة الإفريقية من طرف **ألان ديوب،** وقد ظلت لصيقة بالمذياع ولم تهتم بنداء جدتها طيموشة، وقد أهلتها دراستها لدى الأخوات البيض لاستيعاب جانب من محاضرة الشاعر الإفريقي إيمي سيزير؛ ومداخلة فرانز فانون التي وجدته يشبهها في صوته الإنساني، وخطابه الثوري، وجرحه الاستعماري، كما عبرت عنه الرواية (الرواية 31-32-33) من جهة، ومن جهة أخرى كان أحد قادة الاستعمار (لاكوست) يتابع شخصيا محاضرته:

"...كان جهاز المذياع يصدح بصوت فانون وقد تولى لاكوست شخصيا متابعة المحاضرة عبر (صوت الثورة الجزائرية) صوت القاهرة؛ ...ناهيك عن بعض المحطات الأوربية، مثل المحطات الإسبانية والإيطالية. استمر فانون في محاضرته قائلا: لقد ظهرت في هذا الصدد بعض المواقف المتطرفة التي تحاول تبرير العنصرية تبريرا ماديا وعلميا، ...إن العنصرية ليست سوى عامل من عوامل مجموعة واسعة، وأعني بها كل آليات القمع المنظم الذي يمارسه شعب ما..." (الرواية 36-37).

وبعد هذا الخطاب أمر لاكوست قائد كتيبة المظليين أن يمارس قمعه الكولونيالي على الأهالي، وهنا تبدأ فصول الصدمة لما يكتشف المظليون أن مريامة تستمع لخطابات الثوريين والمساندين لهم ومنهم فانون، فيقتحمون منزلها يوم عرسها:

"شاهدت سعدية المظلي جاك وهو يتقدم نحو ابنتها بأحلام كولونيالية ذات طاقات التدميرية...استفزتهم مريامة لقتلها، فأن تختار الموت على الاغتصاب فهي لم تختر بين الموت والحياة المؤلمة، بل اختارت بين موت متفاوت الدرجات من خلال مدة الاحتضار..." (الرواية 40-41).

وهنا يظهر أن صدمة الاغتصاب هي من أبشع ممارسات العنف الكولونيالي وما بعده، لأنها صدمة لا تمس الجسد فقط، ولكن العقل أيضا (Caruth 3-4)، وستبقى مخزنة في الذاكرة الكولونيالية وما بعدها، فما مورس على مريامة من اغتصابها من قبل المظلي جاك وترهيبها بالكلاب وقطع أذنها، هذا كله عبر عنه فانون بالصدمة الخبيثة، لأنها تدخل في تجارب الصدمات الاستعمارية الجماعية التي سببها المأزق الاستعماري وحذر من الميّل إلى تقدير "خلاص الروح" على حساب التحرر المادي (Stef Craps 1–12)، هذا ما عبرت عنه الرواية بالانهيار، والخيبة عند قتل الجسد ووأد الحلم والوطن:

"نأت الخيبة بنفسها تاركة بينها وبين مريامة مسافة؛ إذ راحت تترصدها كنسر يترصد الطريدة...اتكأ الحزن على جسدها...ما أشبه وضع العروس بانهيار تاريخي لأعرق المدن..." (الرواية 49).

ومن هنا سنبدأ مرحلة أخرى بعد ما سلبت مريامة هويتها الجسدية والوطنية، ودخلت مرحلة ما بعد الصدمة، لما نقلت لاستكمال علاجها الكولونيالي، المتمثل باستنطاقها القسري تحت أدوية مخدرة ممنوعة دوليا، للكشف عن المعلومات التي تعرفها عن الثوار الجزائريين الذين كان من بينهم زوجها الذي لم تره من يوم فراره عند مداهمة المظليين لبيتها، وقد تحدث فانون في كتبه عن حقن ممنوعة دوليا ويحذر من استخداماتها، لمضاعفاتها الصحية والنتائج المترتبة عنها، ومنها(حقنة الحقيقة) أو (الحقيقة البيضاء)، وهي تحتوي "على مادة كيمياوية ذات خصائص منومة تحقن في الشرايين وتتسبب في عوارض تلف الشخصية" (فانون 228)، إذ كان بعض الأطباء المحسوبين على ما يسمى بالطب الإمبريالي يضاعفون من استخدام هذه الحقنة لاعتبارات غير طبية، وأحيانا يقول: "يتدخلون إثر كل جلسة بهدف إعادة المعذب إلى حالته الأولى  لتهيئته لجلسات تعذيب أخرى والإبقاء عليه حيا ومن ثم مواصلة استجوابه" (فانون 229) .

وهنا سيتدخل الطب السردي من قبل فرانز فانون الذي عارض بشدة هذا الطب الكولونيالي، وانتقد نظريات (أونتوان بوروت) حول الطب الاستعماري (الرواية 73)، خاصة عندما وصلت مريامة لمصلحة الطب العقلي بجوانفيل أين تكفلت بها إحدى الأخوات البيض (نورسين) التي كانت مستخدمة من المظلي جاك لتعمل على تعذيبها الرحيم حتى الموت في حال عدم اعترافها، وقد كانت تخبر طبيبها كذبا بأنها تحاول الانتحار لهذا تقدم لها هذه الحقنة لتهدئها، إلا أن فانون عرف بنواياها، ومنع إعطاءها الحقنة، وبدأ برتوكولا علاجيا جديدا مع مريضته بمحاورتها، ومعرفة سرديات مرضها وصدمتها، مطبقا عليها العلاج النفسي المؤسسي الذي أخذه عن طريق أستاذه فرانسوا توكسيل (غبسون 162)، الذي تجاوبت معه كما تجاوب معه العديد من الثوريين في مصحة جوانفيل، لأن الشعب الجزائري أصبح يؤمن بالطب النفسي والعقلي :

"...أنا اسمي مريامة...أنا هربت من قبري. لقد وأدني المظلي جاك، وقامت نورسين الراهبة ببناء ذلك القبر بعد أيام من وأدي، لقد بنته لي بالمرمر الفاخر، وفي كل يوم تضع عليه باقة من الزهور..." (الرواية 68).

وبعد هذا الحوار السردي في شكل اعتراف مريض لطبيبه عرفت مريامة أن محدثها هو ذلك المناضل الذي طالما استمعت إليه عبر أثير المذياع، فارتمت في حضنه معانقة إياه، وكأنها بدأت ترسم طريق العودة من الجنون، وأن أثار الصدمة بدأت تهدأ، من خلال سردها لقصتها له:

"...عادة ما يكون سلوك الشخص المريض أثناء العلاج سلوكا مبنيا على الثقة المتبادلة بينه وبين طبيبه. حيث أنه يسلم له جسده، لأنه يتقبل فكرة علاج آلامه، أو على الأقل تخفيفها. وهو يدرك بأن إثارة بعد الآلام أثناء جلسة العلاج يعني حتما أنه فيما بعد سيحس براحة الجسد..." (الرواية 69).

خاصة وأن فانون أبعد عنها الممرضة القاتلة، وباقي الممرضين ذوي النزعة الاستعمارية الذين لم يستطيعوا أن يخرجوا من برمجة النظام الطبي الاستعماري الذي يعامل الآخر كفأر تجارب (الرواية 67-68)، ليتمكن من استكمال علاجه السردي لما بعد الصدمة عندها، خاصة لما سردت عليه قصة حلم التفسخ الذي سيكون بداية لعلاج جسدها وترميم ذاكرتها واسترجاع هويتها من القهر والاغتراب الكولونيالي الذي تتقاسمه مع الشخصية المفهومية فانون الطبيب:

"ما الذي رأيته يا مريامة؟

بقيّت مندهشة، ساكنة؛ ساكنة ساكنة...فكرر عليها السؤال لكنها لم تجب. وهنا بدأت هواجس الطبيب تتضاعف. فهو يدرك أن المريض عندما لا يشير إلى مصادر الفزع الداخلي الذي يعتريه، سواء تعلق بالأحلام أو بالأوهام أو الرغبات. فهذا يقود حتما إلى صعوبة في تطبيق تقنية التأويل..." (الرواية 99-100).

هنا نشاهد التقنيات المستخدمة لعلاج ما بعد الصدمة من خلال الطب السردي المبني على تأويل القصص الحلمية المسرودة من قبل المريض قبل تفكيكها وإعادة بنائها، لهذا كان فانون يعرف أن ما تعيشه مريامة، تعتبر الأحلام هي المنفذ الوحيد للتعبير عن صدمتها، فلهذا هو يلح عليها لسرد قصة حلمها لتخليصها منه وعلاجها:

"- ما الذي شاهدته في حلمك حتى فزعت بتلك الطريقة؟

انفجرت بالبكاء تخفي وجهها براحتيها. فهذه أول مرة تجد من يسألها عن مضمون حلمها. فهي استعادت دورها كمشاهدة وينتظر أن تستعيد دورها كمعبرة أيضا. مدّ فانون يده يزيح راحتيها عن وجهها:

* مريامة أنا أسمعك جيدا.
* لقد رأيت !... الطفل آلبير ابن المظلي الذي اغتصبني رأيته يتحول إلى قط، وبعد لحظات تفسخ والرائحة الكريهة تصدر منه!...إن الطفل أهداني جهاز المذياع لمرتين...كنت أحبه كثيرا لأن هديته مكنتني من الاستماع إلى صوت الجزائر بالعربية مع عيسى مسعودي وبالقبائلية مع كمال داودي. لقد مكنني المذياع من الاستماع إلى خطابك والتعرف على شخصك وفكرك حيث تم بث مجريات مؤتمر الكتاب والفنانين الأفارقة. لقد كانت محاضرة بعنوان (ثقافة العنصرية)..." (الرواية 101).

وهنا أدرك فانون السبب وراء بوح مريامة بأحلامها وهواجسها، لأن الطب السردي ساعده في كسب ثقتها فالقصة المقاومة التي سردتها خففت من حدة صدمتها، وكذلك صوته النضالي الذي داومت على سماعه في المذياع رمم هويتها السردية بقص حلمها، واستعاد هويتها الوطنية بأن ما أخذ بالعنف لا بد أن ينتزع بعنف مضاد وهو العنف الثوري (الرواية 105)، وهي -فكرة فانون بالأساس- لهذا كانت تزود الثوار بما يحتاجونه، ولم يستغرب الطبيب من حلمها بل وجده الخطوة الأساس لعلاج ما بعد الصدمة، وهو يعيد فانون بناء هويته الشخصية من خلال هويته السردية، أين يجد نفسه يقارن بين حلم مريامة في الرواية، وحلم ذلك الرجل الفدائي الذي كان يعمل سائق تاكسي وذكره في كتابه (فانون 203-204):

"...لقد عالجت مواطنا يعمل كسائق طاكسي، ويعاني من كونه يرى في منامه ابنته الصغيرة تتحول إلى قطة ثم تتفسخ والرائحة الكريهة التي تصدر منها! حالة التفسخ وغيرها سأضمنها في كتاب معذبو الأرض الذي بدأت في إنجازه.

* آه! ثمة تشابه كبير بين حلمي وحلم ذاك الرجل إذن؟" (الرواية 102).

وبهذا توصل فانون إلى أن المقاومة علاج المقهورين، وأن الرد بالكتابة هو علاج آخر للمستضعفين، بسرد قصصهم وأحلامهم ومساعدتهم على تأويلها، فكما كان خطاب فانون علاجا لمريامة زمن الصدمة، فإن حلمها والتعبير عنه كان علاجها لما بعد الصدمة الاستعمارية، لهذا أكمل فانون سرد قصة زوجة رجل التاكسي المغتصبة لمريامة وكيف وصلت لمرحلة التصالح النفسي من خلال الرسالة التطهيرية التي تركها لها، وقرأتها مريامة على أساس أنها رسالتها تركتها لطبيبها قبل سفره، وكانت آخر تقنيات الطب السردي التي استخدمها فانون لمعالجة صدمتها، وهو معالجة الصدمة بصدمة أخرى، حينما أخرج من درج مكتبه جريدة وبها خبر اغتيال آلبير الذي كانت تحبه على الرغم من أنه ابن المظلي الذي اغتصبها:

"...انتفضت إلى أن شارفت على الانهيار...انفعلت بشدة على الرغم من كونه ابن المظلي الذي اغتصبها وبتر أذنها. كانت تلك فرصة مؤاتية لفانون كي يبسط ذراعيه محتفيا بشفاء مريامة، لإعلان لحظة انعتاقها من آثار الصدمة، ومن تداعياتها المتمثلة أساسا في الانتكاسة. قرر كتابة تقرير طبي حول وضعها. حيث انتهى إلى كونها شفيت تماما..." (الرواية 126).

وهنا ندرك نجاعة الطب السردي، لأن علاج فانون للجروح الكولونيالية وما بعدها التي أصيب بها جسد مريامة وعقلها، هي شبيهة بجروحه وسببا من أسباب غربته اللونية (بشرة سوداء أقنعة بيضاء)، واغترابه الفكري والطبي (معذبو الأرض)، فهو سيصيح بعد الشفاء التام لمريامة، كما صاح فلوبير (مدام بوفاري هي أنا) (Demares)، فسيصيح فانون (مريامة هي أنا)، تلك الجريحة بآثار الكولونيالية وما بعدها:

"كان فانون يعالج جراح مريامة وفي نفس الوقت يستثمر تجربتها لأجل علاج جراحه هو أيضا...ثمة سبب واحد ساعدها على امتثالها للشفاء، وهو فرانز فانون. إنه يدرك بأنها كانت بحاجة إلى من يداوي جنونها بطموحات ثورية، بأحلام المحاربين التي تروم التجسد على أرض الواقع..." (الرواية 105).

**الخاتمة:**

بعد طول تأمل نجد بأن ما قدمته الدراسات البينيّة خدمة للعلوم الإنسانية والنقدية، أسهم في تطوير آليات القراءة وتأويل النصوص الإبداعية، ومنه الطب السردي الذي عرف جدلا كبيرا كفرع من فروع الدراسات السردية ما بعد الكلاسيكية التي تجمع بين المقاربات العلمية والمقاربات النقدية، وقد حاولنا تطبيق هذه الآليات النقدية الجديدة للطب السردي على الرواية ما بعد كولونيالية، لمعرفة كيف استطاع التابع أن يقاوم الطب الكولونيالي، ويقاومه من خلال الكتابة، وهذا باستعادته لأحد المفكرين لدراسات ما بعد الكولونيالية، وهو فرانز فانون الذي حارب العنصرية والتمييز بين الشعوب، وقام بثورة ضد الطب الكولونيالي، وهذا ما استطعنا أن نصل إليه بحفرنا في سرديات مع بعد الاستعمار وسيرته الغيرية الروائية، وهذه دعوة لتقديم دراسات حول هذا الموضوع المهم.

1. ## - كما نجده في كتابات كل من مؤسسي ومفكري الدراسات ما بعد الكولونيالية كإدوارد سعيد، هوبي بابا، وغياتي سبيفاك، وأشيل مبينبي، كما نجده أيضا في الكتابات الإبداعية الروائية عند عبد الرزاق غرنح، وسلمان رشدي بغير اللغة العربية، في كتابات الروائي الطيب الصلاح، وعبد الرحمن منيف، وسهيل إدريس، إنعام كو ججي، واسيني الأعرج باللغة العربية.

   [↑](#endnote-ref-1)
2. ## - يمكن الرجوع إلى بعض هذه البحوث التي تحدد انتشار استخدام الطب السردي في أوروبا:

   - Cinzia Colucci, Mara Barbieri, EUNAMES - Narrative Medicine Survey across WHO-Europe countries.

   [*https://www.medicinanarrativa.eu/wp-content/uploads/eunames\_report\_imp-1.pdf*](https://www.medicinanarrativa.eu/wp-content/uploads/eunames_report_imp-1.pdf)

   - *Maria Giulia Marini, Narrative medicine and humanism for health in Europe.*

   [*https://www.medicinanarrativa.eu/wp-content/uploads/Narrative-medicine-and-humanism-for-health-in-Europe.pdf*](https://www.medicinanarrativa.eu/wp-content/uploads/Narrative-medicine-and-humanism-for-health-in-Europe.pdf)

   ## وُلدت جمعية EUropean NArrative Medicine من فكرة الجمعية الإيطالية للطب السردي وهي جمعية غير ربحية للباحثين المكرسين للتحقيق في العلوم الإنسانية الطبية في المجال الطبي والصحة والطب السردي ولغات الرعاية الأخرى. الغرض من الرابطة هو تحسين النظم الصحية ، على مستوى الدولة الأوروبية ، بهدف إنشاء نموذج للرعاية النفسية والاجتماعية والروحية. وافقت EUNAMES على مراكز رسم الخرائط والأشخاص المشاركين في الطب السردي.

   السرد هو كل نوع من النصوص -الشفوية والمكتوبة وأداء الجسم والفن والموسيقى والأفلام- والتي يمكن استخدامها مع البيانات الكمية من Evidence Based Care لتحسين نوعية حياة المرضى والأشخاص الذين يعيشون في ظروف حرجة ومقدمي الرعاية وأفراد الأسرة والمهنيون الصحيون والمواطنون بشكل عام. تشير العلوم الإنسانية الطبية بشكل خاص إلى النصوص الخيالية، التي تم اختراعها أو استلهامها من موضوع المرض. من أجل استكشاف تجربة المرض في الحوار مع منظور المرض والمرض، يستخدم الطب السردي روايات حقيقية أو شفهية أو مكتوبة، تم جمعها أثناء الممارسة السريرية اليومية من المرضى والمتخصصين في الرعاية الصحية وأفراد الأسرة وأصحاب المصلحة الآخرين المشاركين في عملية الرعاية الصحية.

   الغرض من هذه الجمعية الأوروبية هو تعزيز وتقوية الحوار حول حاضر ومستقبل العلوم الإنسانية الطبية والطب السردي بين المهنيين الصحيين والباحثين (الأكاديميين وغير الأكاديميين) والإنسانيين والمدرسين وغيرهم من المهنيين القادمين من مختلف المجالات. الهدف هو المساهمة في تحسين كل من رفاهية الأشخاص الذين يعانون من حالة جسدية أو مرض عقلي، والعاملين في مجال الرعاية الصحية. تمر أوروبا حاليًا بتحول عميق مع الحاجة إلى إعلان والدفاع عن سيادة دول مختلفة من ناحية أخرى، مع سيطرة الحركة القومية على العمل الأوروبي التعاوني: كان هذا في بداية عام 2020، السبب الرئيسي للدعوة إلى تأسيس الجمعية الأوروبية للطب القصصي.

   الصحة حق من حقوق الإنسان، أقرتها وتدافع عنها منظمة الصحة العالمية. وضعت منظمة الصحة العالمية في أوروبا مبادئ توجيهية للبحوث السرديّة في الصحة، والتي تؤكد على الأهمية المتساوية للدراسات السردية والكفاءات السريرية والعلمية. علاوة على ذلك، في نوفمبر 2019، أطلقت منظمة الصحة العالمية - أوروبا التقرير الأول المتعلق بالعلاج بالفن (العلوم الإنسانية للصحة) والنتائج السريرية. نظرًا لعدم وجود شبكة أوروبية للطب القصصي، تهدف EUNAMES إلى سد فجوة الشبكة في وقت يكون فيه المجتمع الأوروبي في خطر من وجهة نظر ثقافية؛ ولتعزيز نهج متعدد التخصصات بين الكفاءات السردية والعلمية في كل بلد عضو، بحيث يمكن لكل نظام رعاية صحية تحسين جودته. [↑](#endnote-ref-2)
3. - أما في البرتغال فنجد الجامعات تفتح برامج أكاديمية وتخصصات علمية في الطب السردي:

   مثل جامعة نوفا:

   يهدف هذا البرنامج بالأساس إلى توفير التدريب المتقدم للطلاب ومتخصصي الرعاية الصحية والمهنيين وطلاب العلوم الإنسانية على أهمية السرد والتواصل في المواجهة السريرية مع المريض من خلال منهج متعدد التخصصات، والهدف الأساسي الحصول على المعلومات المتعلقة بالمفهوم الجديد للطب السردي وكيفية مساعدة المريض من خلاله.

   [*https://guia.unl.pt/en/2019/fcm/program/9813/course/11214*](https://guia.unl.pt/en/2019/fcm/program/9813/course/11214)

   جامعة لشبونة:

   مشروع في العلوم الإنسانية الطبية:

   يهدف مشروع العلوم الإنسانية الطبية (PMH) إلى تعزيز هذا المجال متعدد التخصصات الناشئ من خلال استخدام المعرفة وأساليب الفنون والعلوم الإنسانية في مجال العلوم الصحية الواسع وبالتعاون الوثيق مع المتخصصين في الرعاية الصحية. بهذه الطريقة، يسعى PMH إلى تحسين جودة الرعاية الصحية من خلال تعزيز التدريب الإنساني للمهنيين الصحيين والطلاب في مجال الرعاية الصحية (وغيرها من المجالات)، ومن خلال تقدير وتكريم صوت المرضى ووجهة نظرهم.

   يعد PMH توسعًا للمشروع الممول من FCT "السرد والطب: النصوص والممارسات عبر التخصصات" (2013–15)، وهو مشروع رائد تم إطلاقه في عام 2009 قدم مجال الطب السردي في البرتغال. بالاعتماد على خبرة فريق متعدد التخصصات، مع باحثين واستشاريين من مجالات مثل الأدب والطب والتمريض والدراسات المرئية والأفلام والفلسفة والأخلاق وعلم النفس والصيدلة وعلم الأوبئة وعلم الاجتماع والعلاج الطبيعي، يضم هذا المشروع العديد من الشركاء الوطنيين والدوليين. يعتزم PMH توحيد وتطوير ومواصلة العمل الذي تم تنفيذه سابقًا من قبل مشروع السرد والطب والمشروع الممول حاليًا SHARE - الصحة والعلوم الإنسانية يعملان معًا (المرجع PTDC/LLT-OUT/29231/2017)، مما يعزز ثلاثة مجالات رئيسية: البحث الأكاديمي، والتعليم والتدريب، والتطبيق العملي/العمل الميداني.

   أحد مجالاتها الرئيسية هو التعليم والتدريب المتقدم، بناءً على مبادرات مثل وحدة ما بعد التخرج والدورة المجانية في الطب السردي (المقدمة منذ عام 2012)، وبرنامج الدكتوراه القادم في العلوم الإنسانية الطبية والمدرسة الصيفية في الطب السردي كل سنتين.

   [*http://ulices.letras.ulisboa.pt/en/projects/medical-humanities/*](http://ulices.letras.ulisboa.pt/en/projects/medical-humanities/) [↑](#endnote-ref-3)
4. - ينظر فانون، فرانز. *العام الخامس للثورة الجزائرية*، أين يتحدث عن فرار المرضى الجزائريين من الأطباء الفرنسيين لخوفهم من جعلهم فئران تجارب، فلمريض يفضل الموت على أن يعالج عند الطبيب المستعمِر، ص 131. [↑](#endnote-ref-4)
5. - براهيمي، جيجيقة. *رواية فرانز فانون*، الجزائر: دار خيال للنشر والترجمة، ط1، 2019. [↑](#endnote-ref-5)
6. - فانون، فرانز.*بشرة سوداء أقنعة بيضاء*. ترجمة: خليل أحمد خليل، الجزائر: منشورات ANEP، ط1، 2004.

   وكتابه: *العام الخامس للثورة الجزائرية*، ترجمة: ذوقان قرقوط، الجزائر: منشورات ANEP، ط1، 2004. [↑](#endnote-ref-6)
7. - ينظر المقدمة التي صدر بها المفكر الفرنسي جان بول سارتر كتاب (معذبو الأرض)، ص 19–37.

   **المصادر والمراجع**

   الورفلي، حاتم. *بول ريكور الهوية والسرد*. بيروت-لبنان: دار التنوير، ط1، 2009.

   بابا، هومي ك. *موقع الثقافة*. ترجمة: ثائر ديب، بيروت: مركز الثقافي العربي، ط1، 2006.

   براهيمي، جيجيقة. *رواية فرانز فانون*. الجزائر: دار خيال للنشر والترجمة، ط1، 2019.

   دولوز، جيل وفليكس، غتاري. *ما هي الفلسفة*. ت: مطاع الصفدي، بيروت: مركز الإنماء القومي، والمركز الثقافي العربي، ط1، 1997.

   ريكور، بول. *الزمان والسرد (الزمان المروي)*. ت: سعيد الغانمي، مراجعة: جورج زيناتي، بيروت- لبنان: دار الجديد المتحدة، ط1، 2006.

   "—" *الذات عينها كآخر*. ت: جورج زيناتي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2005.

   سعيد، إدوارد،*الاستشراق*. ترجمة: محمد عناني، القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

   غبسون، نايجل سي. *فانون: المخيلة بعد الكولونيالية.* ترجمة: خالد عايد أو هديب، الدوحة: المركز العربي للأبحاث والدراسات، ط1، 2013.

   فانون، فرانز. *بشرة سوداء أقنعة بيضاء*. ترجمة: خليل أحمد خليل، الجزائر: منشورات ANEP، ط1، 2004.

   "—"  *العام الخامس للثورة الجزائرية*. ترجمة: ذوقان قرقوط، الجزائر: منشورات ANEP، ط1، 2004.

   "—"  *سوسيولوجيا الثورة*. ترجمة: ذوقان قرقوط، بيروت: دار الطليعة، ط1، 1970.

   كارطون، إدوارد. *من ذكريات فانون والطب والسياسة.* ترجمة: رضا أنور العيادي، دار الشمال للترجمة والتوزيع، د.ط، د.ت.

   Adam, Ian, and Helen Tiffin. *Past the Last Post: Theorising Post-Colonialism and Post-Modernism*. Hemel Hempstead: Harvester Wheatsheaf, 1991.

   Cabral, Maria de Jesus. “Lire, Dire, Trans/Former: De La Littérature à La Médecine Narrative.” *Carnets*, no. Deuxième série-19, 2020, https://doi.org10.4000/carnets.11426.

   Caruth, Cathy. *Unclaimed Experience: Trauma, Narrative, and History*. Johns Hopkins University Press, 1996.

   Charon, Rita, et al. *The Principles and Practice of Narrative Medicine*. Oxford University Press, 2016.

   Craps, Stef, and Gert Buelens. “Introduction: Postcolonial Trauma Novels.” *Studies in the Novel*, vol. 40, no. 1-2, 2008, pp. 1–12, https://doi.org10.1353/sdn.0.0008.

   Danou, Gérard. “Actes Du Séminaire 2008-09 et 2009-10, Ouvrage Publié Avec Le Concours Du Centre Franco-Norvégien En Sciences Sociales et Humaines et de l.” *Résistances: Littératures, Médecines, Sciences Humaines*, 2011.

   Demares, Rebecca A. “C’est Moi: Gustave Flaubert’s Madame Bovary.” *In Inquiries Journal*, vol. 3, 2011.

   Durrant, Sam. *Postcolonial Narrative and the Work of Mourning: J. M. Coetzee, Wilson Harris, and Toni Morrison*. State University of New York Press, 2006.

   Haddour, Azzedine. *Frantz Fanon, Postcolonialism and the Ethics of Difference*. Manchester University Press, 2021.

   Marini, Giulia. *Narrative Medicine Bridging the Gap between Evidence-Based Care and Medical Humanities*. Springer, 2016.

   Nsangou, Russel. “Le Roman Postcolonial Francophone et La Refondation Des Imaginaires: Les Voix/Voies Féminines.” *Revue de l’Association Des Professeur. e. s de Français Des Universités et Collèges Canadiens (APFUCC)*, vol. 17, 2020.

   Spivak, Gayatri Chakravorty, et al., editors. *The Spivak Reader: Selected Works of Gayati Chakravorty Spivak*. Routledge, 1996.

   Spivak, Gayatri Chakravorty, and Sarah Harasym. *The Post-Colonial Critic: Interviews, Strategies, Dialogues*. Routledge, 1990, https://doi.org10.4324/9780203760048.

   Van Dormael, Monique. “La Médecine Coloniale, Ou La Tradition Exogène de La Médecine Moderne Dans Le Tiers Monde.” *Studies in Health Services Organisation & Policy*, vol. 1, 1997. [↑](#endnote-ref-7)